أثر العامل الديني[1] في التحيز الأمريكي للصهيونية والكيان الصهيوني

د. حسام جميل النايف*

الملخص

السؤال المحوري الذي تناوله البحث هو تأثير العامل الديني (الصهيونية المسيحية) في القرار الأمريكي بدعم المشروع الصهيوني في إقامة الكيان الصهيوني والتحيز لهذا الكيان، إذ مهدت لذلك بتوضيح عدم كفاية نسبة هذا التحيز لنفوذ اليهود، أو الأطماع الاستعمارية في المنطقة العربية. ويأتي التركيز على العامل الديني لإيضاح أهمية هذا العامل ومركزيته، فضلًا عن تسليط الضوء على السياسة الأمريكية المتطرفة في دعمها لهذا الكيان. قامت الدراسة بتأصيل العلاقة بين اليهودية والمسيحية، وأوضحت كيف أن حركة الإصلاح الديني والمذهب البروتستانتي السائد في أمريكا، جاء بنظرة جديدة كليًا تجاه اليهود انعكست بصورة إيجابية على ماضيهم ومستقبلهم. فكان لتلك التعاليم الدينية المستمدة من التوراة اليهودية (العهد القديم) دور مركزي في صياغة فكر المهاجرين الأوائل إلى أمريكا وثقافتهم، فأصبح هناك اعتقاد مبكر لدى الأمريكيين، بضرورة تحقيق النبوءات الواردة في العهد القديم كلّها، وعلى رأسها إعادة اليهود إلى فلسطين، كواجب ديني، إذْ بدأ ذلك قبل ظهور الحركة الصهيونية بثلاثة قرون. ويبرز البحث دور الدين في الحياة الأمريكية قديمًا وحديثًا، وأثره في صياغة الفكر والثقافة الأمريكية؛ ممَّا انعكس على المواقف الأمريكية تجاه كثير من القضايا، وبالذات من اليهود و"إسرائيل"، وكيف كان المشروع الصهيوني مشروعًا أمريكيًا بتفاصيله كلّها يهدف إلى تحقيق رؤى ونبوءات دينية، آمن بها الشعب الأمريكي بمعظم فئاته، وتعاطف معها وتبناها الزعماء السياسيون، منذ تأسيس الجمهورية عام 1776م ، وحتى وقتنا الحاضر، وليس كما هو شائع أن الحركة الصهيونية نشأت وترعرعت في بريطانيا. وقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي القائم على تحليل المعطيات التاريخية للوصول إلى صورة مقاربة للحقيقية التاريخية. ومع وجود العديد من الدراسات التي تناولت الصهيونية المسيحية ودورها في نشوء هذا الكيان الصهيوني؛ إلَّا أنَّ هذا البحث يتميز بطرحه فكرة أن نشوء الفكرة هي أمريكية الأصل وليست بريطانية كما كان معروفًا.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.

[1]– يقصد بالعامل الديني تأثير الكنيسة المسيحية البروتستانتية في نشوء الكيان الصهيوني منذ مطلع القرن السادس عشر في الولايات المتحدة الأمريكية. وجدير بالذكر هنا أن وجهة النظر التي حاول البحث إظهارها هي أن العامل الديني يأتي بالدرجة الأولى وراء الدعم الأمريكي المنقطع النظير لقيام الكيان الصهيوني، وقبل العامل الاقتصادي على أهميته، وقبل العامل الجغرافي.

Christian Zionism And Its Role in the Emergence of the Zionist Entity

Dr. Hossam Jameel Al Nayef[**]

Abstract

The study examines the influence of the religious factor on the American bias toward the Jews and Israel, thus indicating the inadequacy of this bias towards the influence of the Jews, or the colonial ambitions in the Arab region, and trying to focus on the religious factor. To illustrate the importance and centrality of this factor, the study solidified the relationship between Judaism and Christianity, and explained how the mainstream religious reform movement and Protestant doctrine in America gave a completely new view of the Jews that reflected positively on their past and future, where the religious teachings of the Old Testament played a central role in shaping the thought and culture of America's early immigrants. It became an early belief among the Americans that all prophecies in the Old Testament, including the return of the Jews to Palestine is a religious duty, three centuries before the emergence of the Zionist movement three centuries.

The research highlights the role of religion in American life in ancient and modern times, and its impact on the formulation of American thought and culture, which has been reflected in American attitudes toward many issues, especially Jews and Israel. The Zionist project was a US project, in all its details, aimed at achieving religious visions and prophecies. This is very clear in the American people's sympathy with and political leaders' adoption of the Jews, since the establishment of the Republic in 1776, to the present time.

[**] Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, History Department.

مقدمة:

شهدت أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي تحولات عميقة في النفس المسيحية– الغربية على الأقل– مع بزوغ ما عُرف بحركة الإصلاح الديني، وما استتبعه ذلك من انشقاق سياسي وعقائدي داخل الديانة المسيحية بشكل عام، والكاثوليكية الغربية بشكل خاص[2]، إذ ترك هذا الانشقاق آثارًا بعيدة في الديانة اليهودية، وفي مستقبل اليهود في العالم، بعد أن تهود جزء من المسيحية ليسكن أجزاء من أوروبا ويستوطن أمريكا، لتصبح المسيحية[3] صهيونية قبل ظهور الصهيونية[4]، ولتمارس لاهوت الاستيطان العبري على السكان الأصليين لأمريكا، كمقدمة لإحيائه من جديد على أرض فلسطين، انطلاقًا من إيمان حرفي بكل ما ورد في التوراة، من نبوءات، ليدفع شعب فلسطين ثمنًا غاليًا لهذا الورع الزائد لهؤلاء الذين يريدون تأسيس "مملكة للمسيح"[5] على أنقاض شعب فلسطين، بعد أن أسسوا على أشلاء سكان أمريكا الأصليين، "إسرائيل" الجديدة.

---

[2]– هلال، رضا: المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط2، مكتبة الشروق، القاهرة، 2004، ص: 63.

[3]– يقصد بالمسيحية هنا المسيحية البروتستانتية بشكل عام، والمذهب البروتاني (التطهري) بشكل خاص وأتى شرح ذلك في سياق البحث.

[4]– **الحركة الصهيونية:** جاء في المجلد الثاني عشر من الأنسكلوبيديا اليهودية، ص: 666، بعنوان الصهيونية: *أنها حركة ترمي إلى عزل الشعب اليهودي على قواعد ملِّيَّة إلى وطن خاص بهم، ونشير على الأخص إلى شكل الحركة الجديدة التي تتطلب وطنًا لليهود في فلسطين، معترفًا به اعترافًا عموميًا، ومؤمنًا تأمينًا شرعيًا بحسب القاعدة التي أسسها ثيودور هرتزل سنة 1896*". انظر: نصار، نجيب: الصهيونية ملخص تاريخها، غايتها، وامتدادها حتى سنة 1905م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ، 2014، ص: 9. وجدير بالذكر أن اليهود هم كتلة بشرية ضئيلة من أول أمرها في الوجود. وأجمع المؤرخون على أن اليهود كانوا حتى في أيام أنبيائهم داوود وسليمان عليهما السلام، حفنة قابلة أبدًا لأن تذرهم الرياح بين الإمبراطوريات القديمة الكبرى في واديي النيل والفرات. انظر: محمد باخريه، الصهيونية بإيجاز، ط1، د. م.2001، ص: 17.

وتلخصت الصهيونية بأنها هي حركة "الشعب اليهودي" في طريقه إلى فلسطين، وأن العودة إلى فلسطين يجب أنْ تسبقها عودة "الشعب اليهودي إلى اليهودية. والصهيونية لا تتركز ولا يمكن تحديدها في تعريف أو وصف ذي قالب واحد، فهي مبدأ متغير حسب مصلحة معتنقيه ومن دون إطار ثابت، هذه التعاريف جميعها تدور حول الموضوع ذاته، وهو الشخصية اليهودية المتميزة عن باقي شخصيات شعوب العالم، ووضع الشعب اليهودي في مقدمة الشعوب. انظر: محمد باخريه، الصهيونية بإيجاز، ص: 22.

[5]– انتشرت هذه النظرية بقوة في القرن الرابع الميلادي، ثم عادت للظهور في القرن السادس عشر، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، خاصة في أثناء قيام الثورة الفرنسية وتقول: بفكرة المسيح المخلص ويسمى بالأدبيات اليهودية "الماشيح"، وهو من نسل داوود، وأنه سيصل في نهاية التاريخ ليملأ الدنيا عدلًا، ويؤسس مملكة صهيون في فلسطين بعد أن يبطش بأعداء اليهود، وسيمكن اليهود من حكم العالم ألف عام بعد معركة كبيرة تعرف باسم هرميجدون. انظر: يوسف الحسن، جذور الانحياز: دراسة في تأثير الأصولية المسيحية في السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، مركز الإمارات للدراسة والبحوث الاستراتيجية، ط1، 2002، ص: 13–14.

يعدُّ تأصيل العلاقة الجديدة بين اليهودية والمسيحية البروتستانتية، في اعتقادنا لب البحث وروحه؛ لأن الحديث عن دور الدين في توجيه السياسة الأمريكية تجاه الكيان الصهيوني "إسرائيل" سيعد كلامًا من دون معنى أو دليل، لذلك عَمَدْنَا إلى توضيح كيف انعكست التحولات اللاهوتية داخل المسيحية على اليهود ومستقبلهم؛ فضلًا عن تأصيل دور الدين في نشأة أمريكا، وأثره في منظومة القيم والأفكار فيها.

أولًا- اليهودية في التراث الديني المسيحي:

إن الإيمان بعودة السيد المسيح، وبأن هذه العودة مشروطة بقيام "دولة صهيون"، القائمة على تجميع اليهود في أرض فلسطين، أدى في الماضي -ومازال يؤدي اليوم- دورًا سياسيًا في صناعة قرار قيام "إسرائيل"، وتهجير اليهود إليها، ومن ثمَّ دعمها ومساعدتها. كذلك، فإن الإيمان بأن اليهود هم "شعب الله المختار"[6]، أدَّى في الماضي ويؤدي اليوم دورًا أساسيًا في إعفائهم من القوانين والمواثيق الدولية؛ ذلك لأنَّ منطق الصهيونية اليهودية-والصهيونية المسيحية معًا يقول: "إن شريعة الله هي التي يجب أن تطبق على شعب الله، وإن شريعة الله تقول بمنح اليهود الأرض المقدسة في عهد مقطوع لإبراهيم ولذريته حتى قيام الساعة؛ ومن ثمَّ فإنَّه حيث تتعارض القوانين الإنسانية الوضعية مع شريعة الله، فإن شريعة الله وحدها هي التي يجب أن تطبق على اليهود في فلسطين"[7].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحركة الصهيونية عمدت إلى تزوير نصوص التوراة[8] بالترويج لتفاسير تخدمها بالدرجة الأولى وتحقق لها أهدافها.

فمن المعروف أن التراث الديني المسيحي الأمريكي، يستمد أصوله من المذهب البروتستانتي، الذي نشأ مع حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر في القرن السادس عشر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما[9]. فقد أحدثت حركة الإصلاح الديني

---

[6]- ومع أن اليهودية دين لا يشكل شعبًا إلَّا أنَّ اليهود يطلقون على أنفسهم الشعب اليهودي، فالدين لم يكن يعطي مفاهيم الشعب الكاملة، لذا فإنه من غير المنطقي الإقرار بأن اليهود شعب، لكنهم عبارة عن جماعات اعتنقت اليهودية، وانحدرت من شعوب وأصول مختلفة. انظر: باخريه، محمد: الصهيونية بإيجاز، ص: 22-23.

[7]- هالسل، جريس: النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص: 11.

[8]- وفقًا للمصادر التاريخية، وعلى ضوء الكشوف الجغرافية سواء التي قام بها علماء الآثار الأوروبيين أو حتى اليهود والصهاينة أنفسهم، فقد توصلوا إلى نتائج بالغة الأهمية بشأن قضايا مثل: إقامة بني إسرائيل في مصر وخروجهم منها، وغزوهم لأرض كنعان وقيام مملكة داود وسليمان، توصلت إلى أنه لم يتم العثور على أية اكتشافات أثرية أو نصوص لدى دول الحضارات المحيطة بفلسطين تؤكد حدوث هذه الروايات. للتوسع في هذا الموضوع يرجى العودة إلى: مالمات، أبراهام؛ تدمور، حييم: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة: رشاد عبد الله الشامي، ط1، القاهرة ، 2001.

[9]- لسنا هنا بصدد بحث تفصيلي لمبادئ هذا المذهب، بقدر ما حاولنا إبراز التغيير الجوهري الذي أحدثه في تفكير أتباعه حيال اليهود (ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم) الذي ساعد كثيرًا على تعاطفهم مع اليهود وسعيهم لتحقيق آمالهم في العودة إلى أرض فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بأربعة قرون.

تغييرًا جوهريًا في موقفها من اليهود، بحيث تولدت عن هذا الموقف نظرة جديدة إلى الماضي والحاضر والمستقبل اليهودي، وكانت المبادئ التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني مغايرة تمامًا للمبادئ الكاثوليكية والأرثوذكسية في موقفها من اليهود؛ ولذلك يصف بعضهم هذه الحركة بأنها أسهمت في بعث اليهود من جديد.

عندما ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، قلب الأمور رأسًا على عقب، من خلال التغيرات اللاهوتية التي جاء بها، والتي روجت لفكرة أن اليهود "أمة[10]" مفضلة وأكدت ضرورة عودتهم إلى فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، وبزوغ فجر العصر الألفي السعيد[11]. وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى حدوث هذه التغيرات، هو ما دعا إليه لوثر من وجوب إقامة الحقيقة الدينية على أساس الفهم الشخصي دون الخضوع لفهم رجال الدين لها[12]، فأصبح كل بروتستانتي حر في دراسة الكتاب المقدس وتفسيره واستنتاج معنى النصوص استنتاجًا فرديًا، مع عدم الاعتراف بأنَّ فهمهُ وقفٌ على رجال الكنيسة وحدهم. وهذا أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام أصحاب البدع والأضاليل؛ ممَّا أدَّى إلى تعدد الفرق البروتستانتية نفسها حتى وصل عددها الآن إلى أكثر من 200 فرقة في مذهب لم يتعد وجوده أكثر من أربعة قرون[(13)]. كما أنه في ظل هذا المذهب ازداد الاهتمام بالعهد القديم تحت شعار العودة إلى الكتاب المقدس كونه مصدر العقيدة النقية، مع عدم الاعتراف بالالهامات والتعاليم غير المكتوبة التي يتناقلها الباباوات الواحد عن الآخر، والتي تعدُّ مصدرًا مهمًا من مصادر العقيدة المسيحية. فقد أولى لوثر الإنجيل اهتمامًا خاصًا. ففي معرض ردّه على بعض أنصار الباباوية الذين ذهبوا إلى أنَّ الكنيسة تسمو على الكتاب المقدس قال: "لتترك روما الإنجيل، وسأتمسك به مقابل كل شيء"[14]. وهكذا أصبح العهد القديم يشكل جزءًا مهمًا من مصادر العقيدة البروتستانتية، وأصبح هو المرجع الأعلى للسلوك والاعتقاد، ومصدرًا للمعلومات التاريخية أيضًا.

والجدير بالذكر أنه ومنذ عصر النهضة وحركة الإصلاح الديني، أخذت التفسيرات الحرفية والشخصية للعهد القديم تنتشر وتسود، وذهب أتباع هذه الحركة إلى الاقتناع بأن ما ورد في العهد القديم هو نبوءة حرفية عن المستقبل. وخرجت من رَحِم هذه الحركة

---

[10]– استخدم هذا المصطلح "الأمة اليهودية" لتبرير قيام الكيان الصهيوني، ولكن من المثبت تاريخيًا أن اليهود لم يكونوا يشكلون أمة متكاملة لافتقارهم إلى العوامل الأساسية في تكوين الأمة.

[11]– انظر: هامش رقم 3 في الصفحة 3 من البحث.

[12]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948–2009)، ط1، مكتبة حسن العصرية، بيروت، 2014، ص: 45.

[13]– مظهر، سليمان: قصة الديانات. الوطن العربي، دار الوطن العربي، القاهرة، 1984، ص: 231.

[14]– الطعان، عبد الرضا تاريخ الفكر السياسي الحديث، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، د.ت.، ص: 235.

وتفسيراتها عقائد عبرت عن المدى الذي وصلت إليه عملية تهويد المسيحية، من بينها العقيدة اليهودية: "وهي عقيدة تعود في جذورها إلى اليهودية، لكن البروتستانتية أحيتها وجعلتها فكرة مركزية في عقيدتها، وتدور حول عودة السيد المسيح المخلص الذي سيحكم العالم مدة ألف عام، حيث يسود خلالها السلام والعدل في مجتمع الإنسان والحيوان. ومع أن العهد القديم لم يذكر نصًا عن هذه العقيدة التي تتحدث عن نهاية الأزمنة، فإن عناصر يهودية روجت لها؛ تعبيرًا عن تطلع يهودي لفكرة الملك المقدس، الذي يأتي على هيئة ماشيح عبراني، في حين رأت المسيحية التقليدية في هذه العقيدة نوعًا من الهرطقة والكفر، وعدّت الكنيسة الكاثوليكية هي مملكة المسيح[15]".

كما أن حركة الإصلاح الديني أعطت وزنًا كبيرًا للغة العبرية كونها "اللغة الأصلية[16]" للكتاب المقدس. فلكي يفهم المؤمنون كلمة الله فهمًا صحيحًا لابدَّ لهم من معرفة اللغة الأصلية التي كتب بها؛ ومن ثمَّ أصبح العلماء والمصلحون وحتى العامة منكبين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها[17]. وفي عام 1523 كتب لوثر كتابًا عنوانه: "المسيح ولد يهوديًا" قدَّمَ فيه رؤية تأصيلية للعلاقات اليهودية المسيحية من منظور مغاير تمامًا لما اعتاده المسيحيون من قبل، فكان ممَّا قاله في كتابه: " إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فتات مائدة أسيادها"[18]. وهكذا يمكننا تقدير الخدمة التي قدمها لوثر لليهود، إذْ أعاد بعثهم من جديد وأكدَّ وجوب عودتهم إلى أرض فلسطين كمقدمة لعودة المسيح المنتظر، ولهذا فإن الكنيسة الكاثوليكية كانت تصفه بأنه يهودي، أو نصف يهودي (متهود). وكان الكاثوليك يقولون: "إن لوثر من أصحاب البدع والأضاليل، وإنَّه وأمثاله زاغوا عن طريق الإيمان[19].

وتعود أهمية الأفكار التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني، إلى أنها مهدت الطريق أمام الأفكار التي نادت بها الحركة الصهيونية نفسها في القرن التاسع عشر من خلال تأكيدها وجود "الأمة اليهودية" وضرورة بعث هذه الأمة من جديد وكون فلسطين وطنًا لليهود، وإن عودتهم إليها ضرورة لاهوتية كمقدمة لعودة المسيح، وبزوغ العصر الألفي

---

[15]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود، ص: 47.

[16]– تعدُّ اللغة العبرية إحدى اللهجات أو اللغات الكنعانية التي أصبحت فيما بعد تدعى العبرية. فالعبرانيون قد تسللوا إلى أرض كنعان وأحضروا معهم فكرة الإله الواحد، وتبنوا كثيرًا من أعياد الكنعانيين ولهجاتهم. انظر: المسيري، عبد الوهاب: من هو اليهودي؟، دار الشروق، ط3، القاهرة، 2002، ص: 20.

[17]– السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، ط3، دار النفائس، بيروت، 2000، ص: 35.

[18]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود، ص: 47.

[19]– شلبي، أحمد: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979، ص: 262.

السعيد. فهذه الأفكار لا تختلف كثيرًا عن الصهيونية كفكرة "والتي تنطوي في جوهرها على دعوة اليهود للعودة إلى صهيون؛ أي مناشدة اليهود في العالم للعودة إلى أرض "إسرائيل" بحدودها التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة[20] لدى اليهود"[21].

وقد أدى انتشار الأفكار المتعلقة ببعث "الأمة اليهودية" بين معتنقي المذهب البروتستانتي إلى سعي كثيرين منهم لتحقيقها طبقًا للنبوءات الواردة في العهد القديم. فمع العودة إلى أهمية الكتاب المقدس، قام الإصلاحيون بترجمته إلى لغات عدَّة. كما أصبحت العودة إلى التوراة، أساسًا في المفهوم الديني الجديد، ومحورًا للتعليم في المدارس. وهكذا مع انبعاث التاريخ القديم بتفاصيله وحكاياته التوراتية كلّها، تحولت فلسطين في الضمير البروتستانتي من الأرض المقدسة للمسيحيين إلى أرض الشعب المختار، فآمن البروتستانت بأن اليهود عائدون إلى الأرض المقدسة كما جاء في النبوءات التوراتية. وآمن بعض البروتستانت بضرورة اعتناق اليهود للمسيحية تمهيدًا لقدوم المسيح، وآمن بعضهم بإمكان تحولهم هذا بعد قدومه[22].

هكذا وبعد أن وطدت حركة الإصلاح الديني أقدامها في كثير من الدول الأوروبية، مثل ألمانيا والدول الإسكندنافية وهولندا، وصلت إلى إنكلترا في القرن السادس عشر، ووصلت إلى ذروتها فيها في القرن السابع عشر، في عهد الثورة البيوريتانية، عندما تولى أولفرت كروميل السلطة وأعلن الجمهورية، وانتهت الحرب الأهلية وظهرت محاولة البيوريتانيين الإفادة من التسوية الثورية لغرض استكمال الإصلاح الديني، وإقامة مؤسسة دينية جديدة تستند إلى البروتستانتية الربانية الحقة، تعم كلمتها المملكة وتستبعد الكثلكة مرة وإلى الأبد من الجسم السياسي البريطاني. وتأثر المذهب البيوريتاني تأثرًا عميقًا بروح العهد القديم أكثر ممَّا تأثر بروح المسيح، وبروح القتال المقدس، أكثر منه بروح الحب[23]. وأطيحَ بالملك جيمس الثاني الكاثوليكي المذهب، وهرب من البلاد، ووضعت لائحة الحقوق عام 1688م، ووضع الإطار الديني الذي توج في مرحلة لاحقة بإقرار التسامح الديني بين المذاهب جميعها. وفي عهد البيوريتاريين ازداد الاهتمام بالعهد القديم ازديادًا

[20]– تجدر الإشارة هنا إلى التزوير الذي أحدثته الصهيونية العالمية في العهد القديم بما يتعلق بحدود الكيان الصهيوني ولغته وإهمال أصلها الكنعاني.

[21]– مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، بيروت، 1973، ص: 51.

[22]– الحوت، بيان: فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917)، دار الاستقلال، بيروت، 1991، ص: 286.

[23]– هرتز، فردريك: القومية في التاريخ والسياسة، ترجمة: عبد الكريم أحمد، سلسلة من الفكر السياسي والاشتراكي، دار الكتب العربية، القاهرة، 1964، ص: 152

كبيرًا، وأصبح كتابهم الوحيد الذي يستمدون منه فلسفتهم وأفكارهم ومعتقداتهم وطريقة سلوكهم. كما ازداد في عهدهم الاهتمام باللغة العبرية بشكل كبير جدًا. حتى جعلها بعضهم اللغة الوحيدة للصلاة وتلاوة الكتاب المقدس، واقترح بعضهم أن يتضمن منهج التعليم العام في المدارس الثانوية دراسة العبرية، وظهرت لديهم نزعة التخلي عن المبادئ الخلقية المسيحية، واستعاضوا عنها بالعادات والأخلاق اليهودية، بل إن إحدى مجموعاتهم المتطرفة دعت الحكومة الإنكليزية إلى إعلان التوراة دستورًا للقانون، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فاعتنق اليهودية، أمَّا الذين بقوا على مسيحيتهم فقد أخذوا ينظرون بعطف متزايد إلى أولئك الذين أطلقوا عليهم شعب الله القديم "اليهود"[24].

ثانيًا– دور الأساطير الدينية التوراتية في تأسيس التاريخ الأمريكي:

عندما وصل الأوروبيون إلى أمريكا[25]، وجدوا فيها شعوبًا ذات حضارات عريقة، كونوا فوق أرض القارة ممالك وإمارات منذ آلاف السنين. وقد وصل كريستوف كولومبوس (1451–1506) إلى جزء من أمريكا بتمويل من الملكة الإسبانية إيزابيلا، حيث أسس الإسبان مدينة فلوريدا عام 1513، وجاء الإنكليز، فأسسوا مدينة على شاطئ ولاية فيرجينيا الحالية عام 1607 سميت "جيمس تاون"، وأسَّس بعد ذلك بعض المهاجرين من المتدينين الإنجليز الذين فروا من الاضطهاد الديني في إنكلترا ولاية ماساتشوستس عام 1620. يقول والتر ماكدوجال في كتابه "أرض الميعاد والدولة الصليبية": "إن نشأة أمريكا كان نتيجة اندفاعية دينية؛ بل إن مغامرة كولومبوس لم تكن إلا مغامرة دينية. وبكلمات كولومبوس فإن الرب جعله رسولًا للجنة الجديدة والأرض الجديدة، بعد أن حدثه بها يوحنا المقدس في سفر الرؤيا، وأراه النقطة التي يجدها عندها، إن اكتشاف أمريكا قبل أي شيء آخر كان نهاية حج عظيم ونهاية للبحث الروحي العظيم[26].

فقد أقدم نوعان من الناس على اقتحام العالم الجديد لبناء المستعمرات في أوائل القرن السابع عشر، كانا كلاهما يبحثان عن المصير: النوع الأول توجه إلى فرجينيا مع الكابتن

---

[24]– الشريف، روجينا: الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله العزيز، سلسلة عالم المعرفة، العدد (96)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985، ص: 37.

[25]– هنالك عدة شعوب وحضارات وجدت في القارة الأمريكية قبل وصول الأوروبيون إليها ومن أهم هؤلاء الفينيقيين الذين وجدت آثارهم ومكتشفاتهم قبل مئات السنين من إعادة الكشف الأوروبي للقارة. للتوسع في كشف أمريكا ودور العرب والمسلمين في هذا الكشف راجع كتابنا: النايف، حسام جميل: تاريخ أمريكا الحديث والمعاصر، مطبعة جامعة دمشق، 2016/2015.

[26]– أ. مكدوجال، والتر: أرض الميعاد والدولة الصليبية أمريكا في مواجهة العالم من 1776، ترجمة: رضا هلال، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص: 6. ومن الجدير بالذكر هنا أن لرحلة كولومبس أسبابًا اقتصاديةً واجتماعيةً وسياسيةً كثيرة، ولم تقتصر على الأسباب الدينية كما ذكرها مكدوجال. انظر: كتابنا : تاريخ أمريكا.

جون سميث، ذهب المغامرون والحرفيون سعيًا وراء الثروة، والنوع الثاني وإلى ماساتشوستس مع حاكم الولاية جون ونثروب ذهب الحجاج والطهريون (البيوريتانيون) بحثًا عن الفردوس. هذان الدافعان ظلا يحركان عملية التوسع الأمريكية منذ ذلك التاريخ[27].

عندما بدأ الاستيطان الأوروبي لأمريكا كان معظم المهاجرين الجدد من البروتستانت الذين فروا من الاضطهاد الديني الذي ساد أوروبا في ذلك الوقت، إذ هاجر إلى أمريكا كثير من البيوريتان المتدينين، فرارًا من الاضطهاد الديني الذي ساد انكلترا في أثناء حكم آل ستيورات، إذ كانوا ينظرون إلى أنفسهم من منطق خاص بهم[28]. فعلى غرار الخروج الجماعي المذكور في العهد القديم الذي هرب فيه اليهود من مصر[29]، ورحلوا إلى أرض جديدة وعدهم الرب بها، نظر البيوريتانيون إلى أنفسهم بوصفهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد بوصفه "إسرائيل" الجديدة، أمَّا العالم القديم بالنسبة إليهم، فكان هو مصر التي فروا منها. فقد عقدوا عهدًا مع الرب: أنه إذا أمن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية[30].

وهكذا كان هؤلاء المستوطنون الجدد يحملون معهم تراثهم الديني المستمد من العهد القديم، الذي أخذ يؤدي دورًا رئيسًا في تشكيل الفكر الأمريكي منذ ذلك الوقت. وممَّا قوى من أهمية هذا الدور، هو ربط هؤلاء المستوطنين بين تجاربهم التي مروا بها منذ رحيلهم من أوروبا وإنكلترا بالذات، وبين التجارب التي "مرَّ بها اليهود القدماء عندما فرّوا من ظلم فرعون إلى أرض فلسطين"[31]. إذ عَدّوا أمريكا هي "أورشليم الجديدة" أو "كنعان الجديدة"، وشبهوا أنفسهم بالعبرانيين القدماء إذ فروا من ظلم فرعون "الملك جيمس الأول"، وهربوا من أرض مصر "إنكلترا" بحثًا عن أرض الميعاد "الجديدة"[32]. فقد رأى البيوريتانيون في تجربتهم الخاصة المتمثلة بالهروب إلى البراري من أوروبا المنحوسة مساوية لتجربة اليهود الذين قادهم موسى من مصر، غير أنها أكثر بكثير من تجربة

---

[27]– بروستوفتز، كلايد: الدولة المارقة –الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، تعريب: فاضل جنكر، شركة الحوار الثقافي، لبنان، 2003، ص: 43.

[28]– النيرب، محمد: المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الأول حتى 1877، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1997، ص: 33.

[29]– تناول العديد من الباحثين قضية التزوير التوراتي، وأكدوا أن اليهود لم يخرجوا من مصر، ولم يكونوا أصلًا فيها. ودلت الكشوف الآثارية بوضوح على هذا التزوير التوراتي. للتوسع انظر: مالمات، أبراهام؛ وتدمور، حييم: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية.

[30]– كوربت، م. كوربت، ج، الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة: عصام فايز و ناهد وصفي، ط2، ج2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002، ص: 44.

[31]– الحسن، يوسف: من أوراق واشنطن، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986، ص: 119.

[32]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود، ص: 55.

مساوية، فقد آمنوا بأن تجربتهم لم تكن في الحقيقة إلا تجسيدًا حيًا لتجربة الخروج. وقد فسروا تجربتهم بأنَّها تكرار للتاريخ الذي شكل شعب الرب القديم[33].

فهم مثلهم مثل اليهود فروا من الظلم بحثًا عن الأرض الموعودة التي تدر لبنًا وعسلًا، وجابهوا الصعاب في رحلتهم عبر المحيط، كما حدث لليهود في صحراء سيناء عند خروجهم من مصر. كما أنهم جوبهوا بمقاومة السكان الأصليين، كما جوبه اليهود بمقاومة أهل فلسطين. وعندما كانوا يعلنون الحرب على أصحاب البلاد الأصليين، كانوا يستحضرون العهد القديم، إذ ثمة تشابه بين تجاربهم في حربهم مع الهنود الحمر، وتجربة اليهود في حربهم ضد الفلسطينيين في الماضي. فقد عانوا من الانقسام، ومن تجارب الحرب الأهلية المُرّة بين الشمال والجنوب، كما حدث مع اليهود القدماء[34] عندما انقسمت مملكتهم إلى مملكتين واحدة في الشمال والأخرى في الجنوب.

كان هؤلاء المستوطنون يعلمون أن الأرض التي استولوا عليها من سكانها الأصليين ليست أرضهم، كما أنهم يعلمون أن ما يقومون به من عمليات اضطهاد وقتل وتشريد للسكان الأصليين، يتنافى مع أبسط المبادئ الأخلاقية، لذلك كانوا بحاجة إلى شيء يسوغ لهم أفعالهم هذه ويضفي عليها نوعًا من الشرعية والأخلاقية ولو مزيفة، فلم يجدوا هذا التسويغ إلا في العهد القديم. فكما أن اليهود سوغوا احتلالهم لفلسطين بالادعاء بأنها الأرض الموعودة التي وهبها الله لشعبه المختار، فإن المستوطنين الجدد فعلوا الشيء نفسه بالادعاء بأن الله اختار العنصر الأنجلوسكسوني البروتستانتي الأبيض لقيادة العالم. وحاول بعضهم أن يجد رابطة بينهم وبين اليهود الذين يدعون أنهم شعب مختار. يقول ريتشارد بروترز في كتابه "المعرفة المنزلة للنبوءات والأزمنة": "إنَّ الإنكليز السكسون هم من أصل يهودي، وإنَّهم ينحدرون من سلالات الأسباط التي ادعى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة "إسرائيل" عام 721ق.م".[35] وقال هيرمان ملفيل في بداية القرن التاسع عشر متحدثًا عن الشعب الأمريكي: "نحن الأمريكيين شعب خاص، شعب مختار و"إسرائيل" العصر الحاضر"[36]. أمَّا القس صموئيل ويكمان فقال في موعظته الشهيرة على ظهر السفينة أرابلا التي حملت أول مجموعة من البروتستانت إلى خليج ماساشوستس: " إن أورشليم كانت لكن نيوانجلاند (المستعمرة الأولى) هي الموجودة الآن، وأن اليهود كانوا لكنكم أنتم (البروتستانت التطهيريون)

---

[33]- مركلي، بول: الصهيونية المسيحية (1891-1948م)، ترجمة: فاضل جنكر، قدمس للنشر والتوزيع، سورية، 2003، ص: 105.

[34]- لا يوجد في التاريخ ما يعرف باسم اليهود القدماء وهذا المصلح يعود للتزوير الصهيوني لنصوص التوراة والعهد القديم وقد نوهنا سبقًا لذلك.

[35]- أ. مكدوجال، والتر: أرض الميعاد والدولة الصليبية، ص: 5.

[36]- جوليان، كلود: الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة: ناجي أبو خليل، دار الحقيقة، بيروت، 1970، ص: 19.

شعب الله المختار، وعهد الله معكم. فضعوا اسم نيوانجلاند مكان اسم أورشليم" وعندما وصلت المجموعة الثانية من المستوطنين إلى شاطئ نيوانجلاند على ظهر السفينة ماي فلاور عام 1620م، وقعوا فيما بينهم عهد ماي فلاور الذي حددوا فيه طريقة الحياة التي يرغبون فيها، وأسس المجتمع المثالي في أورشليم الجديدة او "إسرائيل" الجديدة "أمريكا"؛ وذلك تمجيدًا لاسمه تعالى، وترويجًا للدين المسيحي..."[37].

ومن الملاحظ أن أمريكا تعزو جزئيًا هويتها الوطنية إلى انتشار كثير من الأساطير القوية التي انبثقت في أوائل تاريخها، إذ يرتبط كثير منها بالآباء المؤسسين، وقد تكون أقوى هذه الأساطير، أسطورة "بيان المصير"، كما يسميه علماء التاريخ. وهو الاعتقاد بأن الاستيطان في تلك الأراضي الشاسعة غير المسكونة وترويضها من قبل المستوطنين الأوروبيين، كان حدثًا تم بموجب مقاصد إلهية، فالله اصطفى الأمة الأمريكية من بين الأمم والشعوب، وفضلها عليهم، وجعلها شعبه المختار؛ وذلك من أجل قيادة العالم وتخليصه من الشرور[38]. لكن هذه القصة غير المحبوكة فضحتها العلوم والمعارف الحديثة، عندما ركزت على وحشية التطهير العرقي القديم وعواقبه السلبية.

غير أن بعض عناصر هذه القصة المتعلقة بالأسطورة، لاتزال تشكل الهوية الذاتية الأمريكية، ويبدو هذا واضحًا في الطريقة السهلة التي يستطيع بها السياسيون ومن بينهم الرئيس جورج بوش أن يبحثوا عن الدعم بمغامرات سياستهم الخارجية باقتباسهم عناصر رئيسة من هذه الأسطورة: إن أي هجوم على أمريكا هو هجوم على الحرية[39]. ففي التعابير التي كانت تدور على ألسنة سكان المراحل الأولى من تاريخ فيرجينيا على سبيل المثال، أعلن أوائل المستوطنين عن أنفسهم [يجرأة على حد قول جون رولف] بأنَّهم "شعب" له خصوصيته، أشار إليه واختاره إصبع الله لامتلاك تلك الأرض؛ لأنَّه معنا دون شك". والواقع أن مستعمرة فرجينيا في أقدم سنواتها كانت أشبه شيء بمدينة أسستها شركة، وتشبه قاعدة أمامية، أو مركزًا متقدمًا في أقاصي حدود الأسكا. وقد حافظ المؤسسون بدقة على الشكليات الدينية المعروفة آنذاك بما فيها القوانين التي تتطلب التردد على الكنيسة[40].

ولكن هذا الورع الزائد للمؤسسين الأوائل، كونهم شعبًا له خصوصية، كان يعكس عنصرية بشعة، ونظرة دونية إلى الآخرين. يقول القس كوتون ماذر أحد أهم المؤسسين

---

[37]– رافيتش، دايان؛ وآخرون: مختارات من الفكر الأمريكي، ترجمة: نمير مظفر، دار الفارس، الأردن، 1988، ص: 27.

[38]– منير العكش، حق التضحية بالآخر (أمريكا والإبادات الجماعية)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002، ص: 149.

[39]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود، ص: 60.

[40]– مارسدن، جورج: الدين والثقافة الأمريكية، ط1، ترجمة: صادق عودة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2001، ص: 25.

لأمريكا: "من الكفر بالله والمسيح أن يحاول أحد هداية أهل البلاد الأصليين، الهنود الحمر، لأنَّه وجدهم مخلوقات بشعة لا يجوز أن تدخل في ديانته المقدسة"[41]. وقال أيضًا: إن أمريكا كانت قبل مجيء الحجاج الأوائل أرض الشيطان، وإنَّه –أي الشيطان– سيستعمل كل حيلة للحؤول دون استيطان المستوطنين. وبهذا تكونت صورة الهندي الشرير والبربري المسكون بالشيطان، في مقابل الرجل الأبيض المختار المسكون بالخير المتصف بالتحضر، وأيضًا مقابل الأسود الجاهل الذي لا يجيد التمتع بالحرية كما هي في الولايات المتحدة[42].

وبناء على هذا الموقف العنصري المتعالي، المغلف بالمعاني الدينية التوراتية، لم يجد المؤسسون الأوائل لأمريكا أيَّ حرج، في إبادة الهنود الحمر واستعباد الزنوج ما داموا أجناسًا أقل مرتبة ومتوحشين، وهو الموقف نفسه الذي استخدمه الصهاينة قديمًا وحديثًا مع الفلسطينيين والشعوب المجاورة. فقد صارت هذه الأخلاق الإبادية بنفاقها وبسماتها الإنجليزية المسمومة عقيدة وأيديولوجيا؛ بل صارت النواة الصلبة للقومية الأمريكية التي ما تزال تخصب الأدب والفن والسينما وصناعة الجريمة والموت، وتعطي أوضح صورة للمفهوم الأمريكي عن نفسه وعن العالم، هذه الأخلاق التي ضربت جذورها في عقيدة الاختيار وكراهية الكنعانيين، ورافقت بناء أمريكا لحظة بلحظة، وجبهة بعد جبهة؛ هي التي جعلت الأمريكيين يعتقدون اليوم، كما كان أجدادهم المستعمرون الأوائل يعتقدون قبلهم بأن لهم الحق المطلق في أن يقتحموا أي غرب في أي مكان من الأرض[43].

ولهذا لم يكن مستغربًا أن يصرح الرئيس ويليام تافت، في كلمة مشهورة قالها عام 1912: "نصف الكرة الأرضية سيكون في الواقع ملكًا لنا، كما هو حاليًا، على الصعيد المعنوي، وذلك بفضل تفوق جنسنا". فالتبرير الديني للسلب والنهب والقتل، ظل حاضرًا على الدوام في التاريخ الأمريكي، إذ استهل الأمريكيون وجودهم كأمة بعملية إبادة جماعية لشعب كامل، شعب الهنود الحمر، لأنَّ تلك الإبادة كانت من "أجل المسيح" وقيامًا بعمل الله على الأرض[44].

ثالثًا– أسباب التحيز الأمريكي "لإسرائيل":

هناك تساؤلات كثيرة تطرح نفسها على المتتبع للموقف المتحيز لدول أوروبا بوجه عام، وبريطانيا وأمريكا بوجه خاص، حيال الصراع العربي الإسرائيلي. فلا بدَّ أن كثيرين سألوا أنفسهم عن أسباب هذا التحيز، وعن المكاسب التي تسعى لتحقيقها هذه الدول من

[41]– مقار، شفيق: المسيحية والتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، 1992، ص: 314.
[42]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود، ص: 61.
[43]– العكش، منير: حق التضحية بالآخر، ص: 139.
[44]– مقار، شفيق: المسيحية والتوراة، ص: 409.

وراء هذا التحيز. وسيجد السائل إجابات عدَّة عن هذا السؤال من خلال ربط هذا التحيز بالأطماع الاستعمارية لهذه الدول، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، في هذه المنطقة؛ هذا فضلًا عمّا يقال عن أثر اللوبي الصهيوني في تشكيل هذه السياسة المتحيزة "لإسرائيل" والمعادية للعرب[45].

ويعتقد أن هذه الإجابات ليست كافية لتسويغ هذا التحيز والعداء التام من قبل هذه الدول، ولاسيما إنكلترا وأمريكا، وسبب عدم الكفاية هذه هو أن الموقف المتحيز ليس من قبيل التحيز المرحلي الذي يتغير حسب سير المصالح وتغيرها، فيكون متحيزًا لأحد الأطراف عندما يجد أن مصالحه وأطماعه تتطلب ذلك. ولكن هذا التحيز مبني على أساس عامل ديني مهم جدًا يجعل منه موقفًا مبدئيًا لا يتغير بسهولة.

ومع أنَّ تحيز الدول الغربية وأمريكا إلى جانب "إسرائيل" يحقق لها أهدافًا ومصالح كثيرة ويبقي على أطماعها التوسعية حية في المنطقة العربية، إلَّا أنَّه وفي الوقت نفسه يضع مصالحها في خطر كبير، لأنَّه يزيد من حجم العداء لها في المنطقة العربية والإسلامية، فضلًا عن أنَّه يدفع الدول العربية إلى اللجوء إلى دول أو أحلاف معادية لأمريكا وحلفائها، كما كان الحال قبل انهيار المعسكر الشرقي[46]. كما أنَّ موقع "إسرائيل" في المنطقة العربية لا يكفي لتفسير التحيز الأمريكي. فقد كانت "إسرائيل" دومًا مصدر حرج للنفوذ الأمريكي في المنطقة العربية، أكثر من كونها مصدر دعم، فضلًا عن أن بعض الحكام العرب أغنوا أمريكا عن "إسرائيل" في هذا المضمار.

ومهما حاولنا أن نتكلم عن الأهداف التي تسعى أمريكا وحلفاؤها إلى تحقيقها من خلال تحيزها إلى جانب "إسرائيل"، فإنَّ هذا التحيز بحساب المصالح يعدُّ خاسرًا، وفيه مغامرة كبيرة لا تحمد عقباها على هذه الدول. يقول المسيري: "فنحن إذا حكمنا العقل ودرسنا الواقع دراسة موضوعية، توصلنا أنْ ليس من صالح الولايات المتحدة الأمريكية أن تدخل في معركة مع الشعب العربي، بل من صالحها أن تتعاون معه في المجالات الممكنة كلّها؛ لأنَّ مثل هذا التعاون سيؤدي إلى استقرار المنطقة العربية وسيعود على الولايات المتحدة بالفائدة[47]. فأمريكا وحلفاؤها يمكنهم أن يبقوا على مصالحهم؛ بل ويزيدونها من خلال وقوفهم موقفًا عادلًا، وليس متحيزًا حيال الصراع العربي الإسرائيلي.

---

[45]– المسيري، عبد الوهاب: البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق القاهرة، 2003، ص: 167.

[46]– الطويل، يوسف: الصليبيون الجدد "الحملة الثامنة" دراسة في أسباب التحيز البريطاني والأمريكي لإسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995، ص: 17.

[47]– المسيري، عبد الوهاب: اليد الخفية، دراسات في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص: 252–253.

فمادامت هذه المصالح مصونة [إلى حد كبير] ومع وجود هذا التحيز "لإسرائيل"، إلّا أنَّها ستكون مصونة أكثر لو أن هذا الموقف تغير لصالح القضية العربية. فالتاريخ لم يشهد محاولة دولة معينة الحفاظ على مصالحها في منطقة معينة عن طريق معاداتها لدول هذه المنطقة، أو التحيز لمن يعاديها. فأي دولة تريد الحفاظ على مصالحها في منطقة معينة، تسعى بالوسائل كلّها إلى تعزيز روابطها بدول هذه المنطقة، وتحاول [قدر الإمكان] الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفو هذه الروابط، حتى لا ينعكس سلبًا على مصالحها.

لهذا فإن حساب المصالح هذا دفع كثيرًا من الدول الأوروبية إلى تغيير سياستها حيال الصراع العربي–الإسرائيلي، بحيث أصبح هذا الموقف أكثر اعتدالًا ومعقولية من ذي قبل (فرنسا، ألمانيا، بلجيكا، وإيطاليا على سبيل المثال)، كما أن هذه الدول تحاول [قدر المستطاع] الابتعاد عن كل ما يمكن أن يؤثر سلبًا في علاقاتها مع الدول العربية. ولكن الموقف البريطاني والأمريكي بقي كما هو عليه؛ بل ازداد في تحيزه ودعمه "لإسرائيل"، وأصبح موقفًا استفزازيًا وعدائيًا أكثر من أي وقت مضى. ففي أعقاب كل عدوان "إسرائيلي" على الأمة العربية والشعب الفلسطيني، تجد "إسرائيل" مكافأة أمريكية تنتظرها، بدءًا من صفقات الأسلحة المتطورة والمعونات الاقتصادية الضخمة، وانتهاء باستخدام حق الفيتو ضد أي قرار يكون في غير صالح "إسرائيل"[48].

هذا كلّه يجعلنا نفترض أن حساب المصالح [كما نفهمه] ليس هو المؤثر الوحيد في هذا التحيز؛ بل لا بُدَّ من البحث في عوامل أخرى يمكن أن تسوغ هذا التحيز من قبل أمريكا وبريطانيا بالذات، لصالح "إسرائيل" التي يمكن أن تجعلنا نتعرف إلى السر في أنهما من دون دول العالم هما اللتان جعلتا تحقيق الحلم الصهيوني في أرض فلسطين حقيقة واقعة[49]. فما السر في ذلك؟! هل يعود ذلك إلى نفوذ اللوبي الصهيوني، وأثر الصوت اليهودي في الانتخابات، أم إلى أمر آخر؟

أحد أهم المفاهيم وأخطرها التي أقامت الحواجز الكثيفة طويلًا بين الحقيقة العارية للمخططات الأمريكية في منطقتنا، وبين فهم الشعوب العربية لهذه المخططات واستيعابها، هو القول: إن الصهيونية العالمية، وجماعات الضغط (اللوبي) الصهيوني في أمريكا هي التي تشكل وتحدد السياسة الأمريكية تجاه المنطقة العربية، وإن صانع القرار الأمريكي هو صانع ثانوي. وقد روج عدد ليس بالقليل من المفكرين والساسة

[48]– غرين، ستيفن: الانحياز –علاقات أمريكا السرية بإسرائيل، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، القدس، 1992، ص: 223.

[49]– الشريف، روجينا: الصهيونية غير اليهودية، ص: 12.

العرب لمقولة أن المؤسسات الصهيونية تلك قد نجحت في توجيه السياسة الأمريكية وتوظيفها لتأييد مشروعها الاستيطاني وتثبيته وتوسعته، وكذلك قدرتها على التأثير الكبير في الانتخابات الأمريكية، ومن ثم تحديد سياسة تلك المؤسسات، رغمًا عنها، في اتجاه تحقيق التأييد والدعم "لإسرائيل"، والكراهية والعداء للعرب. ويخلص هذا المفهوم إلى أن الولايات المتحدة كانت ولا تزال دمية تحركها جماعات الضغط الصهيوني[50].

مع أن قضية التأثير اليهودي في صنع القرار الأمريكي في الشرق الأوسط، يكثر الحديث عنها في مناسبات مختلفة إلّا أن قلة ما كتب عنها يدعو إلى الدهشة. فغالبية المعلقين تجدهم يحومون حول آثار الصوت اليهودي وحول الأموال اليهودية في السياسة الأمريكية، والقليل الذي كتب عن اللوبي الصهيوني رديء أو متحيز، إلى الحد الذي يجعله غير جدير بالمطالعة[51]. فتضخيم نفوذ اللوبي الصهيوني وجعله كأنه يحكم أمريكا شيء مبالغ فيه جدًا، إلَّا إذا حاولنا فهم هذا النفوذ على أساس أنَّ هذا اللوبي يعمل في بيئة سياسية وثقافية ملائمة إلى أقصى الحدود للأفكار الصهيونية، التي تلقى الدعم المادي والمعنوي على المستويين الشعبي والحكومي. فاللوبي الصهيوني يعتمد على تأييد الجماعات غير اليهودية. ويعمل على تكوين تحالفات مع قطاعات عريضة من المجتمع الأمريكي. وحقق هذا اللوبي نجاحًا مشهودًا في ضم اتحادات وفنانين ورجال دين وباحثين وزعماء من السود إلى صفوفهم، وتسمح هذه التحالفات للوبي ببلورة إجماع شعبي عريض لسياسة موالية "لإسرائيل"[52].

كما أن المال اليهودي في الانتخابات لا يصلح تفسيرًا للإجماع السياسي الذي يحظى به دعم "إسرائيل" في أمريكا، فضلًا عن أن في أمريكا من أهل الثراء غير اليهود ما يكفي لمعادلة المال اليهودي، فحجم رأس المال الذي يتحكم فيه أعضاء الجماعات اليهودية يشكل نسبة ضئيلة جدًا بالنسبة إلى رأس المال الكلي للولايات المتحدة.[53] كما أن الإعلام اليهودي لا يكفي تفسيرًا لانحياز شعبي كامل يبلغ درجة الاعتقاد، في بلد فيه من التعددية الإعلامية وحرية الكلمة ما يكفي لبلورة رأي مخالف لو كان له أنصار. ولهذا فإن تضخيم دور زعماء الصهاينة أمثال هرتزل ووايزمان وغيرهم، وجعلهم وكأنهم

[50]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا، ص: 22.

[51]– تيفن، إدوارد: اللوبي، اليهودية وسياسة أمريكا الخارجية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، 1998، ص: 6.

[52]– كيجلي، تشارلز: يوجين ويتكوف، السياسات الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية، رؤى وشواهد، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004، ص: 114.

[53]– عبد الوهاب، المسيري: اليد الخفية، ص: 266.

بذلوا جهودًا خارقة وفوق العادة للحصول على مطالبهم، أمر عار عن الصحة. فالأفكار الصهيونية كانت موجودة قبل ظهور الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية بمدة طويلة، وتبناها أشخاص أوروبيون وأمريكان، في وقت كان فيه اليهود يرفضون ويحاربون من يفكر بهذه الأمور.

ومن هنا يمكن بداية تحديد الفرضيات، فاللوبي الصهيوني في أمريكا هو لوبي صهيوني مسيحي أولًا، وليس يهوديًا. فالانحياز "لإسرائيل" يتغلغل في المجتمع الأمريكي لأسباب ثقافية لاهوتية[54] بالدرجة الأولى فضلًا عن العوامل الأخرى كالاقتصادية. وإذا كان هناك يهود يدعمون هدف تحرير فلسطين بصرف النظر عن عددهم، فهناك صهاينة من المسيحيين يؤدون دورًا بالغ الأهمية في تقرير السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط؛ أي إنَّ اللوبي هو لوبي صهيوني يضم في صفوفه أفرادًا وشخصيات وحركات لا تنحصر فقط في الطوائف والمنظمات اليهودية؛ بل تأثيره القوي كان بفضل المسيحيين الصهاينة في الدول التي انتشر فيها المذهب البروتستانتي، مثل: بريطانيا وأمريكا وهولندا وغيرها، والذين عملوا منذ أكثر من أربعة قرون على تحقيق الأهداف الصهيونية، وبذلوا جهودًا جبارة في سبيل ذلك، وبفضل تأثير هؤلاء فقط يمكن الحديث عن لوبي صهيوني يؤثر في السياسة الدولية[55].

رابعًا: الحكومات الأمريكية وبعث اليهود:

كان واضحًا منذ البدايات الأولى أثر العهد القديم في الحياة الأمريكية. فقادة الولايات المتحدة وشعبها وكتّابها أسموا دولتهم وقت إنشائها بـ "أورشليم الجديدة"، وأسموا مدنهم ومستوطناتهم بأسماء توراتية، منها: صهيون، وأورشليم، وحبرون، واليهودية، وسالم (التي اشتهرت بإحراق الساحرات)، وعدن، وسموا أولادهم بأسماء آباء العهد القديم وأبطاله، بدل أسماء القديسين وتلاميذ المسيح. ومع نهاية القرن الثامن عشر، أصبح الاعتقاد ببعث اليهود يشكل جانبًا مهمًا من الفكر الأمريكي. وكان من شأن الحماسة الأمريكية لإعادة اليهود إلى "إسرائيل"، بعد استثارته، أن يثبت أنَّه أقوى من النزعة الإعادية الإنكليزية؛ لأنَّه أكثر حيوية ومستندًا إلى قاعدة أوسع، فالطبعة الأمريكية تضيف إلى الاقتناع الإنكليزي –بمسؤولية خاصة عن إنقاذ اليهود المشتتين– الإيمان بأن أمريكا نفسها صبت في ذلك القالب منذ بداياتها الأولى، وبأن مصير "إسرائيل" يعانق مصيرها[56].

---

[54]– هلال، رضا: المسيح اليهودي ونهاية العالم، ص: 15.

[55]– الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود، ص: 28.

[56]– مركلي، بول: الصهيونية المسيحية، ص: 103.

الولايات المتحدة الأمريكية، ومنذ ظهورها، دخلت في تشكيل بنيتها وفي صنع روحها مؤثرات عبرانية بالغة الفاعلية. فقد غزت اللغة العبرية العالم الجديد قبل أن ينادي هرتزل بإنشاء الدولة اليهودية بأكثر من قرنين ونصف القرن! وكانت لغة التعليم الأساسية في جامعة هارفارد عند تأسيسها عام 1636م، وشريعة موسى كانت هي القانون الذي أراد جون كوتون تبنيه إلى جانب العبرية التي أرادها لغة رسمية لأبناء مستعمرات الدم الأزرق الثلاث عشرة على الأطلنطي[57].

وهكذا يمكن القول: إن بين اليهود وأمريكا قضية مشتركة من مبدأ الأمر، وإن ذلك التوافق شكل علاقتهما منذ التقائهما. فالأمريكيون ينظرون إلى "إسرائيل" بوصفها شديدة الشبه بأمريكا. أمة مهاجرة، ودولة مهاجرين، وملاذ مضطهدين ومظلومين، ومجتمع رواد استيطان، بلد قوي وشجاع عازم على النضال في صف الحق، ونظام ديمقراطي تظلله سيادة القانون (الوحيد في الشرق الأوسط) وواحة ثقافة استهلاكية غريبة في صحراء قاحلة تحيط بها من كل جانب. فالروابط بالغة المتانة إلى درجة أن "إسرائيل" ليست بنظر عدد غير قليل من الأمريكيين، سوى ولاية حادية وخمسين[58].

فكلٌ من الولايات المتحدة و"إسرائيل" يضمهما عناق حميم في سياق علاقة خاصة غريبة، وسواء كانت "إسرائيل" بالنسبة إلى أمريكا أصلًا استراتيجيًا أو مشكلة استراتيجية، فإنَّها قبل كل شيء تجسيد لما هو مثل أعلى مغروس بعمق في الفكر الأمريكي منذ السنوات الأولى لظهور أمريكا في العالم الجديد.

إن تتبع سيرة الرؤساء الأمريكيين يكشف عن إيمانهم الصهيوني العميق، ودورهم الواضح في إقامة الكيان الصهيوني، وإن دورهم لم يكن دور المعاون أو المساند، فأمريكا هي الملك الحقيقي للمشروع الصهيوني، وهي المتصرف في أمره كذلك. فقد كان واضحًا منذ البداية أثر الرموز التوراتية في الرؤساء الأمريكيين الأوائل كجورج واشنطون وجون آدمز وجفرسون، إذ أخذت تلك الرموز تهيمن على كل كبيرة وصغيرة في الحياة الأمريكية: عملتها، وشعارها، وخاتمها، وأسماء مدنها، والأهم تفكيرها وطبيعة مؤسسيها.

فخاتم الدولة هو شعارها الرسمي، وهو –بلا شك– شعار يجري اختياره بعناية للتعبير عن هويتها وانتمائها، وقد اختار المؤسسون الأوائل للولايات المتحدة، نجمة داود[59] شعارًا

---

[57]– العكش، منير: حق التضحية بالآخر، ص: 152.

[58]– بروستوفتز، كلايد: الدولة المارقة، ص: 252

[59]- المقصود بنجمة داود النجمة السداسية الموجودة أصلًا في الحضارة والتراث العربي والإسلامي قبل أن يسرقها الصهاينة ويجعلوها نجمتهم ورمزهم.

لهم وضعوه على رأس النسر الأمريكي (النسر رمز توراتي). ويشير جوزيف كامبل، في كتابه "قوة الأسطورة" إلى أن النجوم المستخدمة في الخاتم الأمريكي تشكل 13 نقطة هي عينها النقاط الـ 13 في النجمة اليهودية، بحيث أدمجت في خاتم الدولة الأمريكية[60]. ولو تأملنا أيضًا ورقة العملة النقدية الأمريكية، فئة دولار واحد، فسنجد رسمًا مثيرًا لهرم مصري وقد اعتلته قمة ذهبية عليها عين وحيدة، ويخرج من القمة الذهبية خيوط إشعاع، وقد كتب فوق الهرم المصري الوحيد، وتحته "إنه يرانا" أو يراقبنا أو يرعانا. وليست مصادفة أن هذا الرسم بتفصيله يستخدم كرمز أساسي من رموز الماسونية، وهي واحدة من أقدم الحركات اليهودية التي تستهدف السيطرة على العالم، وفروعها وجمعياتها حاليًا كثيرة ومنتشرة كالسرطان[61].

خامسًا: الجماعات المسيحية الصهيونية والدعم اليهودي:

منذ البداية كان التطلع إلى عصر الألفي السعيد وإعادة اليهود إلى أرضهم، يشغل تفكير الأوائل، ولعل كريستوف كولومبوس كان أول من حمل هذه العقيدة إلى الولايات المتحدة، فقد كتب في مذكراته: " إن العالم سوف ينتهي في عام 1650م، وإن اكتشافه للعالم الجديد هو جزء من خطة إلهية لإقامة جنة الألفية". وقال أيضًا: "إنَّ الله جعلني رسولًا إلى الجنة الجديدة وإلى الأرض الجديدة التي تحدث عنها القديس يوحنا في نبوءاته، وهو الذي أرشدني إلى المكان الذي أجدها فيه"[62]. ويكشف كولومبس في يومياته "إنه يأمل في العثور على الذهب بكميات كثيرة حتى يتسنى للملكيين، خلال ثلاث سنوات، الاستعداد والاتجاه إلى فتح الديار المقدسة"[63].

ومنذ عام 1814م، انطلقت الدعوات الأمريكية الإنجيلية لتوطين اليهود في فلسطين، وهاجر بعض الإنجيليين وأنشؤوا مستوطنة زراعية يهودية ضمت يهودًا وإنجيليين أمريكيين عام 1850م، ثم أنشئت مستوطنات أخرى، لكن الإنجيليين كانوا أكثر حماسًا من اليهود للإقامة فيها، أو للهجرة من أمريكا أصلًا. وقد قامت عام 1867م أول بعثة مسيحية أمريكية للاستيطان في فلسطين مع 150 قسيسًا إنجيليًا أمريكيًا، وفي العام التالي أقيمت مستوطنة بمشاركة 70 شخصية دينية إنجيلية. ففي عام 1814م، نشرت في نيويورك الموعظة

---

[60]- مقار، شفيق: المسيحية والتوراة، ص: 117.

[61]- بلاتونوف، الخ: لهذا كله ستنقرض أمريكا (الحكومة العالمية الخفية)، ترجمة نائلة موسى، إيرينا بونتشينسكايا، دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002، ص: 32.

[62]- السماك، محمد: الدين في القرار الأمريكي، دار النفائس، بيروت، 2003، ص: 104-105.

[63]- تودوروف، تزفيتان: فتح أمريكا (مسالة الآخر)، ترجمة: بشير السباعي، ط2، تقديم فريال جبوري غزول، دار العالم الثالث، القاهرة، 2003، ص: 27.

المشهورة للقس جون مكدونالد، أكد فيها الدور المركزي الذي تتبأ به النبي يشعياهو، للدولة الجديدة في أمريكا، في إعادة اليهود إلى أرضهم، إذ قال: "يا سفراء أمريكا، انهضوا واستعدوا لإسماع بشرى السعادة والخلاص لأبناء شعب منقذكم، الذين يعانون من الظلم... أرسلوا أبناءهم واستخدموا أموالهم في سبيل تحقيق هذه الرسالة الإلهية"[64]. وفي نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر، بدأ التعاطف الأمريكي مع اليهود يتحول إلى عمل ملموس لتحقيق النبوءات التوراتية، سواء عن طريق أفراد أو جمعيات أو كنائس. ففي عام 1840م بعث مؤسس الكنيسة المورمينية، جوزيف سميث، تلميذه أورسون هايد، معه كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة، وآخر من حاكم ولاية إيلينوي. يقول هايد: "إن فكرة نهضة اليهود في فلسطين تقوى يومًا بعد يوم. فقد بدأت العجلة الكبرى تدور، ولا شك في ذلك، وأن الرب أمر بأن تدور هذه العجلة على محورها"[65].

وفي عام 1850م أسس واردكريون القنصل الأمريكي في القدس أول مستوطنة زراعية في منطقة القدس، وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى، وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود، ولكنهم لم يستجيبوا له مع أنه تحول عن ديانته المسيحية إلى اليهودية. وكان يرى أن تلك المستوطنات الزراعية ستكون البداية الأولى لفلسطين الجديدة، حيث ستقيم الأمة اليهودية وتزدهر[66]. وقد حذو حذو القنصل الأمريكي، بعض المواطنين الأمريكيين من اليهود؛ إذ أسسوا مستوطنة زراعية بالقرب من يافا للغرض عينه. وفي منتصف القرن التاسع عشر ظهرت مذاهب بروتستانتية نادت بعودة اليهود إلى فلسطين؛ انطلاقًا من إيمانهم بالمعتقدات المسيائية، ولم يكتفِ أصحاب هذه المذاهب بالدعوة؛ بل عملوا من أجلها[67]. فقد تبنّت كثير من الفرق البروتستانتية الدعوة إلى هذه الأفكار، مثل المشيخيين والمعمدانيين والمرمون والسبتيين وغيرها من الفرق. وقد علق على ذلك هنري فورد في كتابه "اليهودي العالمي" بقوله: "فقد سيطر اليهود على الكنيسة في عقائدها وفي حركة التحرر الفكري المسماة الليبرالية، وإذا كان ثمة مكان تدرس فيه القضية اليهودية دراسة صريحة وصادقة، فهو موجود في الكنيسة العصرية؛ لأنَّها المؤسسة التي أخذت تمنح الولاء دون وعي أو إدراك إلى مجموعة الدعاية الصهيونية[68].

---

[64]– نتنياهو، بنيامين: مكان تحت الشمس، ترجمة: محمود عودة الدويري، دار الجليل للنشر، عمان، 1996، ص: 77.

[65]– نتنياهو، بنيامين: مكان تحت الشمس ، ص: 78.

[66]– عباس، محمود: الوجه الآخر... العلاقات السرية بين النازية والصهيونية، دار ابن رشد، عمان، 1984، ص: 286.

[67]– الحوت، بيان: فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة ، ص: 288

[68]– فورد، هنري: اليهودي العالمي (المشكلة الأولى التي تواجه العالم)، ترجمة: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، 1986، ص: 59.

كما بدا واضحًا خلال القرن التاسع عشر مدى التعاطف مع اليهود وآمالهم في العودة إلى فلسطين، حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بمدة كبيرة، إذ ازدادت في هذه المدة المشاريع الهادفة إلى إعادة اليهود إلى فلسطين، واحتل مشروع موردخاي نواه (نوح) الذي تقدم به سنة 1845م أمام جمع من المسيحيين في نيويورك، مركز الصدارة بين مشاريع العودة، فهو ينص على عودة اليهود نهائيًا إلى فلسطين، إلَّا أنَّه كمرحلة تمهيدية دعاهم إلى إقامة المستوطنات في منطقة آرارات قرب بافالو وشلالات نياجرا، وقد أيَّد الرئيس الأمريكي جون آدمز عودة اليهود في رسالة وجهها إلى نواه[69].

وفي القرن التاسع عشر ظهرت كثير من الطوائف والجمعيات المسيحية التي دعت إلى ضرورة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين، إذ أخذت تنشر دعوتها بين العامة والخاصة، وقد ساعدت نصوص الدستور الأمريكي، ولاسيَّما بنده الأول على امتداد المذاهب في أمريكا وإنشائها، والتي بلغ عددها 1200 مذهب، وحمتها بحيث لا يمكن للكونغرس صياغة أي تشريع يمنع أي مذهب ديني، أو يحدد مدة ممارسة الحريات الدينية، وقد جاء ذلك انطلاقًا من أن مجموعات الاستيطان الأولى التي وفدت إلى أمريكا جاء بعضها هربًا من الملاحقات الدينية في موطنها الأصلي[70].

وممَّا تقدم يتضح لنا أهمية التغيرات اللاهوتية التي جاءت بها حركة الإصلاح الديني، مقارنة بالمذاهب المسيحية الأخرى، تجاه اليهود ومستقبلهم. وكيف أسهم المذهب البروتستانتي الذي انتشر في أمريكا في تشكيل الفكر الديني الأمريكي منذ بداياته الأولى؛ مستمدًا قيمه وثقافته من العهد القديم، ورموزه التوراتية؛ ممَّا جعله يسعى لتحقيق النبوءات التوراتية، والعمل من أجل تحقيقها على أرض فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بزمن كبير.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم كلّه نرى الدور المركزي الذي أداه الدين، وتحديدًا أفكار حركة الإصلاح الديني في تشكيل فكر المهاجرين الأوائل إلى أمريكا وثقافتهم، وكيف استمر هذا التأثير حتى الآن، وكيف أن القيم البروتستانتية أدّت دورًا رئيسًا في دعم اليهود. كما أنه ومع الفصل بين الدولة والدين في أمريكا الذي يدفع بعضهم إلى القول بعلمانية أمريكا، إلَّا أنَّ هذا الفصل جاء كمطلب ديني نتيجة لأفكار الإصلاح الديني وليس نتيجة تنكر للدين، كما حدث في الدول الكاثوليكية؛ ومن ثمَّ لا يمكن الحديث عن علمانية في أمريكا بالمعنى السائد نفسه الذي يعني عدم وجود دور للدين في الحياة الأمريكية.

---

[69]– الحوت، بيان: فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة، ص: 256.

[70]– حمادة، حسين: شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي والتلمود اليهودي، دار قتيبة للنشر، دمشق، 1990، ص: 222.

وهكذا كان للأفكار الدينية دور أساسي في التعاطف مع اليهود وآمالهم بالعودة إلى فلسطين حتى قبل ظهور الحركة الصهيونية بزمن بعيد، كما أدّت الخلفيات الدينية للرؤساء الأمريكيين دورًا مهمًا في تعاطفهم مع الكيان الصهيوني، ودعمه والعمل على تذليل الصعاب أمامه في المجالات كلّها؛ ممَّا انعكس سلبًا على القضية الفلسطينية.

ونلحظ أن الرجوع إلى التاريخ والتعمق في الخلفية الدينية المؤطرة للعلاقات بين أمريكا والكيان الصهيوني هو وحده الذي يقدم تفسيرًا مقنعًا لتلك العلاقات، وأن الذين يقرؤون التحيز الأمريكي "لإسرائيل" بعيون سياسية واستراتيجية، يغفلون حقيقة تاريخية على قدر كبير من الأهمية، وهي أن الصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية في الزمان.

ومن الضروري في الختام مراجعة الأدبيات العربية والأجنبية التي كتبت في العلاقات الأمريكية "الإسرائيلية"، والصراع العربي الصهيوني، والتي ترسخت بسببها كثير من المسلمات والمفاهيم الفكرية الملتبسة، التي بحاجة إلى إعادة تأصيل ومراجعة نقدية موضوعية: مثل اللوبي الصهيوني والصوت الانتخابي اليهودي، وتأثير اليهود المالي والإعلامي، والعلاقة بين اليهودية والصهيونية، وموقف الإسلام من اليهود، والعلاقات العربية الإسلامية مع اليهود.

المصادر والمراجع:

1. باخريه، محمد: الصهيونية بإيجاز، ط1، د. م،2001.
2. بروستوفتز، كلايد: الدولة المارقة–الدفع الأحادي في السياسة الخارجية الأمريكية، تعريب: فاضل جنكر، شركة الحوار الثقافي، لبنان، 2003.
3. بلاتونوف، الغ: لهذا كله ستنقرض أمريكا (الحكومة العالمية الخفية)، ترجمة: نائلة موسى، إيرينا بونتشينسكايا، دار الحصاد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2002.
4. تزفيتان، تودوروف: فتح أمريكا (مسالة الآخر)، ترجمة: بشير السباعي، تقديم: فريال جبوري غزول، ، ط2، دار العالم الثالث، القاهرة، 2003.
5. تيفن، إدوارد: اللوبي، اليهودية وسياسة أمريكا الخارجية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1998.
6. جوليان، كلود: الإمبراطورية الأمريكية، ترجمة: ناجي أبو خليل، دار الحقيقة، بيروت، 1970.
7. الحسن، يوسف: جذور الانحياز: دراسة في تأثير الأصولية المسيحية في السياسة الأمريكية تجاه القضية الفلسطينية، ط1، مركز الإمارات للدراسة والبحوث الاستراتيجية، 2002.
8. الحسن، يوسف: من أوراق واشنطن، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1986م.
9. حمادة، حسين: شهود يهوه بين برج المراقبة الأمريكي والتلموذ اليهودي، دار قتيبة للنشر، دمشق، 1990.
10. الحوت، بيان: فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة (التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين 1917)، دار الاستقلال، بيروت، 1991.
11. رافيتش، دايان، وآخرون: مختارات من الفكر الأمريكي، ترجمة: نمير مظفر، دار الفارس، الأردن، 1988.
12. السماك، محمد: الدين في القرار الأمريكي، دار النفائس، بيروت، 2003.
13. السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، ط3، دار النفائس، بيروت، 2000.
14. الشريف، روجينا: الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ترجمة: أحمد عبد الله العزيز، سلسلة عالم المعرفة، العدد(96)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1985.
15. شلبي، أحمد: المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1979.

16. الطعان، عبد الرضا: تاريخ الفكر السياسي الحديث، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد، د.ت.
17. الطويل، يوسف: الصليبيون الجدد "الحملة الثامنة" دراسة في أسباب التحيز البريطاني والأمريكي لإسرائيل، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.
18. الطويل، يوسف العاصي: البعد الديني لعلاقة أمريكا باليهود و"إسرائيل" وأثره على القضية الفلسطينية خلال الفترة (1948–2009)، ط1، مكتبة حسن العصرية، بيروت، 2014.
19. عباس، محمود: الوجه الآخر... العلاقات السرية بين النازية والصهيونية، دار ابن رشد، عمان، 1984.
20. العكش، منير: حق التضحية بالآخر (أمريكا والإبادات الجماعية)، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2002.
21. غرين، ستيفن: الانحياز –علاقات أمريكا السرية بإسرائيل، ط2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القدس، 1992.
22. فورد، هنري: اليهودي العالمي (المشكلة الأولى التي تواجه العالم)، ترجمة: خيري حماد، دار الآفاق الجديدة، 1986.
23. كوربت، كوربت .م.: الدين والسياسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة د. عصام فايز و د. ناهد وصفي، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2002.
24. كيجلي، تشارلز؛ ويتكوف، يوجين: السياسات الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية، رؤى وشواهد، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2004.
25. مارسدن، جورج: الدين والثقافة الأمريكية، ترجمة: صادق عودة،، ط1، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، 2001
26. مالمات، أبراهام؛ وتدمور، حييم: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة: رشاد عبد الله الشامي، ط1، القاهرة، 2001.
27. مركلي، بول: الصهيونية المسيحية (1891–1948م)، ترجمة: فاضل جنكر، قدمس للنشر والتوزيع، سورية، 2003.
28. المسيري، عبد الوهاب: البروتوكولات واليهودية والصهيونية، دار الشروق القاهرة، 2003.

29. المسيري، عبد الوهاب: اليد الخفية، دراسات في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، دار الشروق ، القاهرة، 1998.
30. مظهر، سليمان: قصة الديانات. الوطن العربي، دار الوطن العربي، القاهرة، 1984.
31. مكدوجال، والتر أ.: أرض الميعاد والدولة الصليبية أمريكا في مواجهة العالم من 1776، ترجمة: رضا هلال، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2001.
32. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، بيروت، 1973.
33. مقار، شفيق: المسيحية والتوراة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، قبرص، 1992.
34. النايف، حسام جميل: تاريخ أمريكا الحديث والمعاصر، مطبعة جامعة دمشق، 2016/2015.
35. نتنياهو، بنيامين: مكان تحت الشمس، ترجمة: محمود عودة الدويري، دار الجليل للنشر، عمان، 1996.
36. نصار، نجيب: الصهيونية ملخص تاريخها، غايتها وامتدادها حتى سنة 1905م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر ، 2014.
37. النيرب، محمد: المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، الجزء الأول حتى 1877، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1997.
38. هالسل، جريس: النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، ط2، دار الشروق، القاهرة، 2003.
39. هرتز، فردريك: القومية في التاريخ والسياسة، ترجمة: عبد الكريم أحمد، سلسلة من الفكر السياسي والاشتراكي، دار الكتب العربية، القاهرة، 1964.
40. هلال، رضا: المسيح اليهودي ونهاية العالم، ط2، مكتب الشروق، القاهرة، 2001.